الكتاب: الأعلام من الصحابة والتابعين
المؤلف: الحاج حسين الشاكري
الجزء: ١١
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الثانية
سنة الطبع: ١٤١٨
المطبعة: ستارة
الناشر: المؤلف
ردمك:
ملاحظات:

السلسلة الثانية
من أعلام والتابعين
(١١)
سعيد بن عبادة
زيد بن حارثة
عبد الله بن رواحة
عمرو بن الجموح
سليم بن قيس الهلالي
تأليف حسين الشاكري

هوية الكتاب
اسم الكتاب: من أعلام الصحابة والتابعين
تأليف: حسين الشاكري
الطبعة: الثانية – ١٤١٨ ه
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: ستاره
الفلم والألواح الحساسة: تيزهوش
الناشر: المؤلف
صف الحروف: محمد الخازن
عنوان المؤلف
الجمهورية الإسلامية في إيران – قم المقدسة
زنبيل آباد – ٣٠ متري آستانه – بلاك ٧٦ – كد ٣٧١٦٦
هاتف ٩٢٦٩٩٠ – تلي فاكس ٩٢٧٨٧١ – كد ٠٠٩٨٥٢٥١

المقدمة
لقد دأب معاوية من خلال تسلطه على الحكم أن
يمارس شتى أساليب التعسف والإبادة لشيعة علي عليه السلام
وملاحقتهم بالقتل وقطع الأيدي والأرجل وسمل
العيون، وبقر البطون، وصلب الأجساد العارية على
جذوع النخل، والتشريد، وحرق البيوت وهدمها على
أصحابها وما إلى ذلك من أنواع سبل الإبادة والاستئصال
لشيعة على عليه السلام ومواليه كما دأب على إجرامه،
وحاك على منواله، حكام بنى أمية وبنى مروان وبنى العباس.

ولم يسلم من هذا التنكيل حتى الشيوخ والسناء، والأطفال والمرضى، وخاصة البارزين منهم وعوائلهم أمثال حجر بن عدى، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم مما يطول ذكرهم، والمنفذ لهذه الأعمال الإجرامية في حينها زايد الخزي والعار ابن سمية وابن مرجانة.

واستطاع معاوية بهذه القسوة والأساليب الوحشية أن ينشر الرعب والخوف والهلع على عامة المؤمنين، خاصة أهل الكوفة والبصرة، وأن يحد من تجاهر الكثير منهم بالتشيع والولاء وإضعاف معنوياتهم إلى حد كبير، بحيث أن الواحد منهم يرضى أن يتهم بالقتل والسرقة أو الزندقة أو أي جريمة أخرى ولا يتهم بالتشيع لعلي عليه السلام ومذهبه وموالاته.

وعلى رغم كل تلكم الممارسات الوحشية وسبل الإبادة ما استطاع استئصال جذور التشيع من قلوب المؤمنين وعقولهم، ولا إطفاء جذوة الحب والولاء

لعلى عليه السلام وأهل بيته، وظل رمز التشيع الذي يجسد جوهر الإسلام الحقيقي الأصيل يسير وينتشر على مر العصور والأزمان مستهينا بكل ما يجرى عليه من العناء ومتحديا الصعاب والعذاب الذي يمارسه حكام الظلم والجور ضده.

وسن سب علي عليه السلام وشتمه من على منابرهم طيلة ألف شهر، وفرض البراءة من علي عليه السلام ودينه واللعن على شيعه ومحبيه، حتى نشأت عليه أجيال، وغرس جذور العداء بين المسلمين، وكأنهم بذلك يدفعون به إلى عنان السماء، ويرفعونه عاليا حتى أصبحت أقدامه فوق رؤوسهم.

قال الشافعي، لما سأله أحد أصحابه عن على بن أبى طالب عليه السلام (١): ما أقول في رجل أسر أولياؤه مناقبه تقية، وكتمها أعداؤه حنقا وعداوة، ومع ذلك فقد شاع

الكنى والألقاب، ترجمة الشافعي.

ما بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟
سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي (١): لم هجر الناس عليا عليه السلام، وقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله؟
قال: ما أقول في حق امرئ كتمت مناقبه أولياؤه خوفا، وأعداؤه حسدا، ثم ظهر من بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟
وسئل أيضا: ما الدليل على أن عليا عليه السلام إمام الكل في الكل؟ قال: احتياج الكل إليه واستغنائه عن الكل.
وقد نظم السيد تاج الدين الحلى هذا المعنى في قوله:

لقد كتمت آثار آل محمد
محبوهم خوفا وأعداؤهم بغضا
فأبرز من بين الفريقين نبذه
بها ملأ الله السماوات والأرض

سفينة البحار، مادة (خلل).

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير (١) لابن له ينتقص عليا عليه السلام:
يا بنى إياك والعودة إلى ذلك، فإن (بنى أمية) وبنى مروان شتموه ستين سنه، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة.
وإن الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبن شيئا إلا عاودت على ما بنت فهدمته.
ومن هذا المنطلق، وعرفانا بفضل أولئك الصفوة الذين قدموا أنفسهم وما يملكون من غال ونفيس قربانا على مذبح الحرية والعقيدة، والدين والولاء الصادق، للرسول الكريم وأهل بيته الطاهرين عليه السلام وما أخذتهم في الله لومه لائم. حتى استطاعوا أن يظهروا الحق، ويرسخوا دعائم الدين الحنيف وشريعة السماء، ويفضحوا أساليب

على في الكتاب والسنة ٣: ٢٣٩، الحديث ٢٢، وهناك أحاديث قبله وبعده، فراجع.

الطامعين في الحكم، والمنافقين في الدين، ويكشفوا حقيقتهم الكافرة الحاقدة.
وقد اقتصرت على تراجم عدد منهم في هذا الكراس، وسنذكر الآخرين في كراسات متتالية ضمن سلسلة " الأعلام: من الصحابة والتابعين ".
ومنه سبحانه وتعالى أستمد العون والتسديد، فإنه أرحم الراحمين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.
العبد المنيب
حسين الشاكري
دار الهجرة قم المقدسة
الفاتح من شهر محرم الحرام ١٤١٨ ه

بسم الله الرحمن الرحيم
(ان الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) (١)
سعد بن عبادة
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

النحل: ١٢٨.

سعد بن عبادة
لا يذكر (١) سعد بن معاذ، إلا ويذكر معه سعد بن عبادة...
فالاثنان زعيما أهل المدينة...
" سعد بن معاذ " زعيم الأوس...
و " سعد بن عبادة " زعيم الخزرج...
وكلاهما، أسلم مبكرا، وشهدا بيعة العقبة، وعاشا
إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله جنديان مطيعان، ومؤمنان
صدوقان.

رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله، لخالد بن خالد: ٥١٠ - ٥١٧.

ولعل " سعد بن عبادة " ينفرد بن الأنصار جميعا
بأنه حمل نصيبه من تعذيب قريش الذي كانت تنزله
بالمسلمين في مكة...!!
لقد كان طبيعيا أن تنال قريش بعذابها أولئك الذين
يعيشون بين ظهرانيها، ويقطنون مكة...
أما أن يتعرض لهذا العذاب رجل من المدينة...
وهو ليس مجرد رجل... بل زعيم كبير من زعمائها
وسادتها، فتلك مزية قدر لابن عباده أن ينفرد بها.
وذلك أنه بعد أن تمت بيعة العقبة سرا، وأصبح
الأنصار يتهيأون للسفر، علمت قريش بما كان من مبايعة
الأنصار واتفاقهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله على الهجرة إلى
المدينة حيث يقفون معه ومن ورائه ضد قوى الشرك
والظلام...
وجن جنون قريش، فراحت تطارد الركب المسافر
حتى أدركت من رجاله " سعد بن عبادة " فأخذه
المشركون، وربطوا يديه إلى عنقه بشراك رحله وعادوا به
إلى مكة، حيث احتشدوا حوله يضربونه وينزلون به ما

شاءوا من العذاب...!!
أسعد بن عبادة يصنع به هذا...؟
زعيم المدينة، الذي طالما أجار مستجير هم،
وحمى تجارتهم، وأكرم وفادتهم حين يذهب منهم إلى
يثرب ذاهب...؟
لقد كان الذين اعتقلوه، والذين ضربوه لا يعرفونه
ولا يعرفون مكانته في قومه...
ولكن، أتراهم كانوا تاركيه لو عرفوه...؟؟
ألم ينالوا بتعذيبهم ساده مكة الذين أسلموا...؟؟
إن قريشا في تلك الأيام كانت مجنونة، ترى كل
مقدرات جاهليتها تتهيأ للسقوط تحت معاول الحق، فلم
تعرف غير شفاء أحقادها إلا بالإرهاب والظلم والجور...
وقد أحاط المشركون - كما سلف - بسعد بن عباده
ضاربين ومعتدين.
ولندع سعدا يحكى بقية النبأ:
(... فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من
قريش، فيهم رجل وضئ، أبيض، شعشاع من الرجال...

" فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير، فعند هذا...
" فلما دنا منى رفع يده فكلمني كلمة شديدة...
" فقلت في نفسي: لا والله، ما عندهم بعد هذا من خير...!؟
" فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى إلى رجل ممن كان معهم، فقال: ويحك، أما بينك وبين أحد من قريش جوار؟
" قلت: بلى... كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره، وأمنعهم ممن يريد ظلمهم ببلادي، وكنت أجير للحارث ابن حرب بن أمية...
" قال الرجل: فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما من جوار، ففعلت...
" وخرج الرجل إليهما، فأنبأ هما أن رجلا من الخزرج يضرب بالأبطح، وهو يهتف باسميهما، ويذكر أن بينه وبينهما جوارا...
" فسألاه عن اسمى... فقال: سعد بن عبادة...

" فقالا: صدق والله، وجاءا فخلصاني من
أيديهم)...
غادر " سعد " مكة بعد هذا العدوان الذي صادفه في
أوانه، ليعلم كم تتسلح قريش بالجريمة ضد قوم عزل،
يدعون إلى الخير، والحق، والسلام...
ولقد شحذ هذا العدوان عزمه.
وقرر أن يتفانى في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله،
والأصحاب، والإسلام...
ويهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة... ويهاجر قبله
أصحابه...
وهناك سخر " سعد " أمواله لخدمة المهاجرين...
كان " سعد " جوادا بالفطرة وبالوراثة...
فهو ابن عبادة بن دليم بن حارثة الذي كانت شهرة
جوده في الجاهلية أوسع من كل شهرة...
ولقد صار جود " سعد " في الإسلام آية من آيات
إيمانه القوى الوثيق...

قال الرواة عن جوده هذا:
(كانت جفنة سعد تدور مع النبي صلى الله عليه وآله في بيوته جميعا)...
وقالوا:
(كان الرجل من الأنصار ينطلق إلى داره، بالواحد من المهاجرين، أو بالاثنين، أو بالثلاثة...
" وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانين)!
من أجل هذا، كان " سعد " يسأل ربه دائما المزيد من خيره ورزقه... وكان يقول:
(اللهم إنه لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه)!
ومن أجل هذا، كان خليقا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله له:
(اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة)...
ولم يضع " سعد " ثروته وحدها في خدمة الإسلام الحنيف، بل وضع قوته ومهارته...

فقد كان يجيد الرمي إيجاده فائقة... وفي غزواته مع
رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فدائيته حازمة حاسمة...
يقول ابن عباس رضى الله عنهما:
(كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلها رايتان...
" مع على بن أبى طالب، راية المهاجرين...
" ومع سعد بن عبادة، راية الأنصار)...
ويبدو أن الشدة كانت طابع هذه الشخصية
القوية...
فهو شديد في الحق...
وشديد في تشبثه بما يرى لنفسه من حق...
وإذا اقتنع بأمر نهض لإعلانه في صراحة لا تعرف
المدارة، وتصميم لا يعرف المسايرة...
وهذه الشدة، أو هذا التطرف، هو الذي دفع الزعيم
الأنصاري الكبير إلى مواقف كانت عليه أكثر مما كانت
له...

فيوم فتح مكة، جعله رسول الله صلى الله عليه وآله أميرا على فليق من جيش المسلمين... ولم يكد يشارف أبواب البلد الحرام حتى صاح:
(اليوم، يوم الملحمة...
اليوم، تستحل الحرمة)...
وسمعها " أحد المهاجرين " فسارع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قائلا:
(يا رسول الله...
" اسمع ما قال سعد بن عبادة...
" ما نأمن أن يكون له في قريش صولة)...
فأمر النبي صلى الله عليه وآله عليا كرم الله وجهه أن يدركه، ويأخذ الراية منه، ويتأمر مكانه...
إن " سعدا " حين رأى مكة مذعنة مستسلمة لجيش الإسلام الفاتح... تذكر كل صور العذاب الذي صبته على المؤمنين، وعليه هو، ذات يوم...
وتذكر الحروب التي شنتها على قوم ودعاء... كل ذنبهم أنهم يقولون: لا إله إلا الله، فدفعته شدته إلى

الشماتة بقريش وتوعدها في يوم الفتح العظيم...
وهذه الشدة نفسها، أو قل هذا التطرف الذي كان
يشكل جزءا من طبيعة " سعد "، هو الذي جعله يقف يوم
السقيفة موقفه المعروف...
فعلى أثر وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، التف
حوله جماعه من الأنصار في سقيفة " بنى ساعده " منادين
بأن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنصار...
كانت خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله شرفا لذويه في الدنيا
والآخرة...
لكن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد استخلف أبا بكر على
الصلاة أثناء مرضه، وفهم الصحابة من هذا الاستخلاف
الذي كان مؤيدا بمظاهر أخرى أضفاها رسول الله صلى الله عليه وآله
على أبى بكر... ثاني اثنين إذ هما في الغار...
نقول: فهموا أن أبا بكر أحق بالخلافة من

سواه... (١).
هذا من كان من رأى مؤلف كتاب " رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله ".
وتزعم " عمر بن الخطاب " هذا الرأي واستمسك به... بينما تزعم " سعد بن عبادة " الرأي الآخر واستمسك به، مما جعل كثيرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذون عليه هذا الموقف الذي كان موضع رفضهم واستنكارهم.

أقول: ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مستخلفا أبا بكر على صلاة الجماعة، ولا أمره بذلك في حالة شدة مرضه.
ولما حضرت الصلاة قفز أبو بكر وحده ليؤم الجماعة منتهزا ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه لفذلكة سياسة ارتآها هو و أصحاب الصحيفة.
ولما علم رسول الله صلي الله عليه وآله بذلك وعلي رغم شدة مرضه قام متكئا على على بن أبى طالب وابن العباس، ونحى أبا بكر من إمامة الجماعة وأقام هو الصلاة.
وهذا الخبر مشهور وثابت عند أرباب السير والتأريخ من كلا الفريقين...

ولكن " سعد بن عبادة " بموقفه هذا، كان يستجيب
في صدق لطبيعته وسجاياه...
فهو - كما ذكرنا - شديد التشبث باقتناعه، وممعن
في الإصرار على صراحته ووضوحه...
ويدلنا على هذه السجية فيه، موقفه بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وآله بعيد غزوة " حنين ".
فحين انتهى المسلمون من تلك الغزوة ظافرين،
راح رسول الله صلى الله عليه وآله يوزع غنائمها على المسلمين... واهتم
يومئذ اهتماما خاصا بالمؤلفة قلوبهم، وهم أولئك
الأشراف الذين دخلوا الإسلام من قريب على كره، ورأى
رسول الله صلى الله عليه وآله أن يساعدهم على أنفسهم بهذا التألف، كما
أعطى ذوى الحاجة من المقاتلين...
وأما أولو الإسلام المكين فقد وكلهم إلى إسلامهم،
ولم يعطهم من غنائم هذه الغزوة شيئا...
كان عطاء رسول الله صلى الله عليه وآله - مجرد عطائه - شرفا
يحرص عليه جميع الناس...
وكانت غنائم الحرب قد أصبحت تشكل دخلا

هاما تقوم عليه معايش المسلمين...
وهكذا تساءل الأنصار في مرارة: لماذا لم يعطهم
رسول الله صلى الله عليه وآله حظهم من الفئ والغنيمة؟
وقال شاعرهم " حسان ثابت ":
وأت الرسول فقل يا خير مؤتمن
للمؤمنين إذا ما عدد البشر
علام تدعى سليم، وهي نازحة
قدام قوم، هموا آووا وهم نصروا
سماهم الله أنصارا بنصرهم
دين الهدى، وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا
للنائبات، وما خاموا وما ضجروا
ففي هذه الأبيات عبر شاعر الرسول والأنصار عن
الحرج الذي أحسه الأنصار، إذ أعطى النبي صلى الله عليه وآله من أعطى
من الصحابة، ولم يعطهم شيئا...
ورأى زعيم الأنصار " سعد بن عبادة "... وسمع
قومه يتهامس بعضهم بهذا الأمر، فلم يرضه هذا الموقف،

واستجاب لطبيعته الواضحة المسفرة الصريحة، وذهب من فوره إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال:
(يا رسول الله...
" ان هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفئ الذي أصبت...
" قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شئ)...
هكذا قال الرجل الواضح كل ما في نفسه، وكل ما في أنفس قومه... وأعطى الرسول صوره أمينة عن الموقف...
وسأله رسول الله صلى الله عليه وآله:
(وأين أنت من ذلك يا سعد)؟
أي إذا كان هذا رأى قومك، فما رأيك أنت؟
فأجاب سعد بنفس الصراحة قائلا:
(ما أنا إلا من قومي)...
هنا لك قال له النبي: (إذن فاجمع لي قومك)...

ولا بدلنا من أن نتابع القصة إلى نهايتها، فإن لها
روعة لا تقاوم!
جمع " سعد " قومه من الأنصار...
وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فتملى وجوههم الآسية...
وابتسم ابتسامة متألفة بعرفان جميلهم وتقدير صنيعهم...
ثم قال:
(يا معشر الأنصار...
" مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها على في
أنفسكم؟
" ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟
" وعالة، فأغناكم الله؟
" وأعداء، فألف الله بين قلوبكم؟
قالوا:
" بلى، الله ورسوله أمن وأفضل...
قال الرسول:
" ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟
قالوا:

" بم نجيبك يا رسول الله؟
لله ولرسوله المن والفضل...
قال الرسول:
" أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم وصدقتم:
" أتيتنا مكذبا، فصدقناك...
" ومخذولا، فنصرناك...
" وعائلا، فآسيناك...
" وطريدا، فآويناك...
" أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟
" ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا أنتم برسول الله إلى رحالكم؟
" فوالذي نفسي بيده، لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار...
" ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الأنصار...
" اللهم ارحم الأنصار...

وأبناء الأنصار...
وأبناء أبناء الأنصار)!
هنا لك بكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم...
فقد ملأت كلمات الرسول الجليل العظيم أفئدتهم
سلاما، وأرواحهم ثراء، وأنفسهم عافية...
وصاحوا جميعا و " سعد بن عبادة " معهم:
(رضينا برسول الله قسما وحظا)...
وفي الأيام الأولى من خلافة عمر ذهب سعد إليه،
وبنفس صراحته المتطرفة قال له:
كان صاحبك أبو بكر - والله - أحب إلينا منك...
وقد - والله - أصبحت كارها لجوارك!
وفى هدوء، أجابه عمر: إن من كره جوار جاره،
تحول عنه.
وعاد سعد فقال: إني متحول إلى جوار من هو خير
منك!
وشد رحاله إلى الشام.

وما كاد يبلغها وينزل أرض " حوران " حتى دعاه أجله، وأفضى إلى جوار ربه الرحيم...
أقول: ولحاجة في نفس المؤلف خالد محمد خالد لم يذكر كيفية اغتياله بسهمين لأنها تمس شخصيات مرموقة ومتهمة عند أرباب السير في اغتياله وكيف اغتيل ومن أشاع أسطورة أن الجن رمته بسهمين فقتلته؟
إنا لله وإنا إليه راجعون.
ومما قاله السيد محسن الأمين (١) ملخصا:
مات سعد بن عبادة سنة ١٥ أو ١١ من الهجرة - كان سيد الخزرج، وكان جوادا مطعما، وكان يطعم الوفود الوافدين على رسول الله، وكان ابنه قيس على شاكلته في الجود.
ولما بويع أبو بكر يوم السقيفة لم يرض سعد أن يبايع، فقالوا له نحن قريش عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، والخلافة فينا، وكان سعد مريضا، فقال عمر: اقتلوا سعدا،

أعيان الشيعة ٧: ٢٢٤.

قتل الله سعدا، فحمل إلى داره.
ولما بلغ عليا ذلك قال ما معناه: إن تكن الخلافة
بالقرابة فنحن أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلا فالأنصار
على دعواهم.
وقال: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة، وقالوا
لسعد لما أبى البيعة: لا تساكننا في بلد، فنفى إلى
حوران، فرمى بسهم في الليل فقتل، " وقالوا إن الجن
رمته لما بال قائما "، وإنه سمع قائل من الجن يقول:
قد قتلنا سيد الخزر
ج سعد بن عباده
رميناه بسهمين
فلم نخطئ فؤاده
وقيل: إن الذي رماه المغيرة بن شعبة. وقيل:
شخصان غيره رماه كل واحد بسهم، وأشيع أن الجن رمته،
وقالت البيتين، ويحكى عن بعض الأنصار أنه قال:
ما ذنب سعد أنه بال قائما
ألا ربما حققت فعلك بالغدر

يقولون سعد شقت الجن بطنه
ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر
وفي الاستيعاب: لم يختلفوا أنه وجد ميتا في
مغسله وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا
قائلا يقول ولا يرون أحدا " نحن قتلنا " البيتين المتقدمة،
ويقال: إن الجن قتلته.
ويا ليت شعري، وما ذنبه إلى الجن حتى تقتله
الجن؟
نقلنا محل الحاجة مما ذكره السيد الأمين في
أعيانه.
وقال السيد الخوئي في رجاله (١):
سعد بن عباد، من الخزرج ومن النقباء الاثني عشر
الذين اختارهم رسول الله صلى الله عليه وآله.
وقال الكشي – في ترجمة قيس بن سعد بن
عبادة: كان لسعد بن عبادة ستة أولاد، وسعد لم يزل

معجم رجال الحديث ٩: ٧٥، الحديث ٥٠٥٤.

سيدا في الجاهلية والإسلام، وكان سعد يجير فيجار، وذلك لسؤدده ولم يزل هو وأبوه أصحاب إطعام في الجاهلية والإسلام (انتهى).

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سعد:

كان رضى الله عنه عقيبا، نقيبا، سيدا، جوادا... وتخلف سعد بن عبادة عن بيعة أبى بكر وخرج من المدينة ولم ينصرف إليها إلى أن مات بحوران، من أرض الشام لسنتين ونصف مضتا من خلافة عمر، وقيل: بل مات سعد بن عبادة في خلافة أبى بكر سنة إحدى عشر من الهجرة ولم يختلفوا أنه وجد ميتا في مغتسله، ويقال: إن الجن قتلته؟

وروى ابن جريح عن عطاء قال: سمعت الجن

قالت في سعد بن عبادة البيتين:

قد قتلنا سيد الخزر

ج سعد بن عباده

رميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

(انتهى)

وعن بعض الأنصار أنه أنشد في سبب قتل سعد،
وقال:
يقولون سعد قد شقت الجن بطنه
ألا ربما حققت أمرك بالغدر
وما ذنب سعد أنه بال قائما
ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر
أقول: أشار الشاعر إلى كذب ما لفقه أعداء سعد من أنه بال قائما فقتلته الجن.
أقول – والقول للسيد الخوئي –: لو صح ما قالوه لقتلت الجن كل يوم الوفا من الناس، فلم اختص هذا بسعد؟ (انتهى كلام السيد الخوئي رحمة الله).
وفى الدرجات الرفيعة (١) ما ملخصه:
سعد بن عبادة بن دلهم – إلى أن ينتهى إلى ساعدة ابن كعب بن الخزرج – الأنصاري كان سيد الخزرج

الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، للسيد على خان المدني، المتوفى ١١٢٠، الصفحة ٣٢٥.

وكبيرهم، يكنى أبا ثابت، وأبا قيس من أعاظم الصحابة، وهو أحد النقباء، شهد العقبة الثانية مع السبعين، والمشاهد كلها ما خلا بدرا فإنه تهيأ للخروج، فلدغ فأقام، وكان جوادا وكان له جفنة تدور مع رسول الله في بيوت أزواجه، وكان سيدا في الجاهلية والإسلام هو وأبوه وجده، وكان سعد يجير فيجار وذلك لسؤدده، ولم يزل هو وأصحابه أصحاب إطعام في الجاهلية والإسلام. هذا ملخص ما في الدرجات الرفيعة.

وله موقف بارز في يوم السقيفة – وربما نعود لتفاصيل أكثر –.

وفى كنز العمال (١) ما ملخصه:

سعد بن عبادة أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله بصحيفة أو جفنة مملوءة مخا، فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا ثابت، ما هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق لقد نحرت (أو ذبحت) أربعين ذات كبد،

كنز العمال، للمتقي الهندي، المتوفى ٩٧٥، ١٣: ٤٠٤، الحديث ٣٧٠٨١.

فأحببت أن أشبعك من المخ؟ قال: فأكل النبي صلى الله عليه وآله ودعا له بخير.

عن ابن سيرين قال: كان أهل الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل، والرجل بالرجلين، والرجل بالجماعة، فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة يعشيهم، وقد توفى بحوران سنة ١٥ ه.

وفي الطبقات الكبرى (١) ما ملخصه:

من بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج: سعد بن عبادة، ابن دليم بن حارثة بن الخزرج بن ساعدة، ويكنى أبا ثابت وأبا قيس.

وكان سعد في الجاهلية يكتب بالعربية، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يحسن اليوم (أي السباحة)، والرومي، وكان من أحسن ذلك سمى الكامل، وكان سعد بن عبادة، وعدة آباء له قبله في الجاهلية

الطبقات الكبرى: لابن سعد، طبعة دار صادر - بيروت ٣: ٦١٣، و ٧: ٣٩٨.

ينادى على أطمعهم: من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة، هذا ملخصا.
وكان سيدا جوادا، ولم يشهد بدرا، وكان تهيأ للخروج إلى بدر، ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنهش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لئن كان سعدا لم يشهدها لقد كان عليها حريصا، وشهد بعد ذلك أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما توفى صلى الله عليه وآله
اجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة، ومعهم سعد بن عبادة فتشاوروا في البيعة له وبلغ الخبر أبا بكر وعمر فخرجا حتى أتياهم ومعهما ناس من المهاجرين فجرى بينهم كلام ومحاورة، فقال عمر لأبى بكر: ابسط يدك، فبايعه وبايعه المهاجرون والأنصار ولم يبايعه سعد بن عبادة، فتركه ولم يتعرض له حتى توفى + أبو بكر، وولى عمر فلم يبايع له أيضا، فلقيه عمر ذات يوم في طريق من طرق المدينة فقال له عمر: إيه يا سعد، إيه يا سعد. فقال سعد: إيه يا عمر؟ فقال عمر: أنت صاحب ما أنت عليه؟ فقال سعد: نعم، أنا ذلك، وقد أفضى الله إليك هذا الأمر،

وكان واليه صاحبك أحب إلينا منك وقد والله أصبحت كارها لجوارك. فقال عمر: إن من كره جارا جاوره تحول عنه. فقال سعد: أما إني غير مستسر بذلك، وأنا متحول إلى جوار من هو خير من جوارك.

قال: فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج مهاجرا إلى الشام في أول خلافة عمر.

وتوفى سعد بن عبادة بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر، في سنة خمس عشرة من الهجرة. فما علم بموته بالمدينة حتى سمع غلمان في بئر منبه أو بئر سكن وهم يمتحون نصف النهار في حر شديد قائف يقول:

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

فذعر الغلمان فخفض ذلك اليوم فوجدوه ذلك اليوم الذي مات فيه إنما جلس يبول في نفق فاغتيل فمات من ساعته.

" ومن المتفق عليه أنه رمى بسهمين فمات من أثره ".

وفى أسد الغابة (١) ما ملخصه:
سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة إلى أن ينتهى إلى كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، يكنى أبا ثابت وأبا قيس.
كان نقيب بنى ساعدة، عند جميعهم، شهد بدرا عند بعضهم، وكان سيدا جوادا، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان وجيها في الأنصار، ذا رياسة وسيادة يعترف قومه له بها، وكان يحمل إلى النبي صلى الله عليه وآله كل يوم جفنة مملوءة ثريدا ولحما تدور معه حيث دار (في بيوت أزواجه).
يقال: لم يكن في الأوس ولا في الخزرج أربعة يطعمون يتوالون في بيت واحد إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم، وله ولأهله في الجواد أخبار حسنة.
وفى الإصابة لابن حجر العسقلاني (٢) ما ملخصه:

أسد الغابة، لابن الأثير ٢: ٣٥٦، حديث ٢٠١٢.
الإصابة، لابن حجر العسقلاني ٢: ٣٠، طبعة دار الإحياء العربي - بيروت، الطبعة الأولى، الحديث ٣١٧٣.

سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة إلى أن ينتهى إلى
كعب بن الخزرج الأنصاري سيد الخزرج، يكنى أبا ثابت،
وأبا قيس، شهد سعدا العقبة، وكان أحد النقباء، واختلف
في شهوده بدرا، فأثبته البخاري، وقال ابن سعد: كان
يتهيأ للخروج، فنهش فأقام. وقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد كان
حريصا عليها.
وقال ابن سعد: وكان يكتب بالعربية، ويحسن
العوم والرومي، فكان يقال له الكامل، وكان مشهورا
بالجود هو وأبوه وجده وولد، وكان لهم أطم (١) ينادى عليه كل يوم: من أحب
الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن
حارثة، وكانت جفنة سعد تدور مع النبي صلى الله عليه وآله في بيوت
أزواجه.
وقال مقسم عبن ابن عباس: كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في
المواطن كلها رايتان مع على عليه السلام راية المهاجرين، ومع
سعد بن عبادة راية الأنصار.

الأطم: القلعة أو مضيف كبير.

وروى أحمد من طريق محمد بن عبد الرحمن بن
سعد بن زرارة عن قيس بن سعد بن عبادة: زارنا النبي صلى الله عليه وآله
في منزلنا، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، الحديث.
وفيه: رفع يده فقال صلى الله عليه وآله: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
على آل سعد بن عبادة، وقال صلى الله عليه وآله: جزى الله عنا الأنصار
خيرا.
وقصة تخلفه عن بيعة أبى بكر مشهورة، ذكرناها
مفصلة في مجلدات موسوعة المصطفى والعترة، وخرج
إلى الشام فمات بحوران.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم عاش وجاهد، ويوم
مات، ويوم يبعث حيا.
هذا ملخص ما ذكره بعض أرباب السير والتأريخ،
ومن يرد التفصيل فليراجع المصادر التالية:

رجال حول الرسول: ٥٠٩، مسند أحمد ٥ / ٢٨٤ و ٦ / ٧، طبقات ابن سعد ٣: ٦١٣ و ٧ / ٣٨٩، التأريخ الكبير ٤ / ٤٤، التأريخ الصغير ١ / ٣٩، والمعارف: ٢٥٩، والجرح والتعديل ٤ / ٨٨، والاستيعاب ٢ / ٥٩٤ و ٤ / ١٥٢، وأسد الغابة ٢ / ٣٥٦، وتأريخ الإسلام ١ / ٣٧٩، والعبرات: ١٩، وتهذيب التهذيب ٣ / ٤٧٥، والإصابة ٢ / حديث ٣١٧٣، وكنز العمال ١٣ / ٤٠٤، وشذرات الذهب ١ / ٢٨، وتهذيب تأريخ ابن عساكر ٦ / ٨٦، وتهذيب تأريخ ابن عساكر ٦ / ٨٦، وتهذيب الكمال ١٠ / ٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ١ / ٢٧٠، وأعيان الشيعة ٧ / ٢٢٧، والدرجات الرفيعة: ٣٢٥.

المصادر

١ – الدرجات الرفيعة: ٣٥٢
٢ – رجال حول الرسول: ٥١٠ – ٥١٧
٣ – طبقات ابن سعد ٣: ٦١٣ و ٧: ٣٨٩
٤ – أسد الغابة ٢: ٣٥٦
٥ – تأريخ الإسلام، للذهبي ١: ٣٧٩
٦ – الإصابة ٤: ١٥٢
٧ – كنز العمال ١٣: ٤٠٤
٨ – سير أعلام النبلاء ١: ٢٧٠
٩ – أعيان الشيعة ٧: ٢٢٤
١٠ – معجم رجال الحديث ٩: ٧٥، طبعة جديدة
وغيرها

بسم الله الرحمن الرحيم
(ان الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) (١)
زيد بن حارثة
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

النحل: ١٢٨.

زيد بن حارثة
وقف (١) رسول الله صلى الله عليه وآله يودع جيش الإسلام
الذاهب لملاقاة الروم في غزوة " مؤتة " ويعلن أسماء
امراء الجيش الثلاثة، قائلا:
(عليكم زيد بن حارثة... فإن أصيب زيد، فجعفر
ابن أبى طالب... فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن
رواحة) (٢)...
رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله، لخالد محمد خالد: ٢٥٦ - ٢٦٣
هذه الرواية فيها نظر - حيث ثبت عند أهل البيت أن الأمير
الأول على الجيش كان جعفر بن أبى طالب، ويليه في القيادة
زيد بن حارثة رضوان الله عليهم.

فمن هو " زيد بن حارثة "؟
من هذا الذي حمل دون سواه لقب " الحب "...
حب رسول الله؟
أما مظهره وشكله، فكان كما وصفه الرواة
والمؤرخون:
" قصير، آدم – أي أسمر – شديد الأدمة، في أنفه
فطس "...
وأما نبأه فعظيم جد عظيم!
أعد " حارثة " أبو " زيد " الراحلة والمتاع لزوجته
" سعدى " التي كانت تزمع زيارة أهلها في بنى معن.
وخرج يودع زوجته التي كانت تحمل بين يديها
طفلهما الصغير " زيد بن حارثة "، وكلما هم أن
يستودع هما القافلة التي خرجت الزوجة في صحبتها
ويعود هو إلى داره وعمله، دفعه حنان خفى وعجيب
لمواصلة السير مع زوجته وولده...
لكن الشقة بعدت، والقافلة بعدت سيرها، وآن

لحارثة أن يودع الوليد وأمه، ويعود...
وهكذا ودعهما ودموعه تسيل... ووقف طويلا
مسمرا في مكانه حتى غابا عن بصره، وأحس كأن قلبه لم
يعد في مكانه... كأنه رحل مع الراحلين!
ومكثت " سعدى " في قومها ما شاء الله لها أن
تمكث...
وذات يوم فوجئ الحي... حي بنى معن بإحدى
القبائل المناوئة له تغير عليه، وتنزل الهزيمة ببني معن، ثم
تحمل فيما حملت من الأسرى ذلك الطفل اليفع " زيد بن
حارثة "...
وعادت الام إلى زوجها وحيدة.
ولم يكد " حارثة " يعرف النبأ حتى خر صعقا،
وحمل عصاه على كاهله، ومضى يجوب الديار، ويقطع
الصحارى، ويسائل القبائل والقوافل عن ولده وحبة قلبه
زيد، مسليا نفسه، وحاديا ناقته بهذا الشعر الذي راح
ينشده من بديهته ومن مآقيه:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحي فيرجى؟ أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدرى، وإني لسائل
أغالك بعدي السهل؟ أم غالك الجبل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا غربها أفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره
فيا طول ما حزني عليه، ويا وجل
كان الرق في ذلك الزمان البعيد يفرض نفسه كظرف اجتماعي يحاول أن يكون ضرورة...
كان كذلك، في " أنينا "، حتى في أزهى عصور حريتها ورقيها...
وكان كذلك، في " روما "...
وفي العالم القديم كله... وبالتالي في " جزيرة العرب " أيضا...
وعندما اختطفت القبيلة المغيرة على " بنى معن " نصرها، وعادت حاملة أسراها، ذهبت إلى " سوق

عكاظ " التي كانت منعقدة آنئذ، وباعوا الأسرى...
ووقع الطفل " زيد " في يد " حكيم بن حزام " الذي
وهبه بعد أن اشتراه لعمته " خديجة ".
وكانت خديجة رضى الله عنها، قد صارت زوجة
لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، الذي لم يكن الوحي قد جاء بعد،
بيد أنه كان يحمل كل الصفات العظيمة التي أهلته بها
الأقدار ليكون غدا من المرسلين...
ووهبت خديجة بدورها خادمها " زيدا " لزوجها
" رسول الله " فتقبله مسرورا وأعتقه من فوره، وراح
يمنحه من نفسه العظيمة ومن قلبه الكبير كل عطف
ورعاية...
وفي أحد مواسم الحج، التقى نفر من حي
" حارثة " بزيد في مكة، ونقلوا إليه لوعة والديه، وحملهم
" زيد " سلامه وحنانه وشوقه لامه وأبيه، وقال للحجاج
من قومه:
(أخبروا أبى أنى هنا مع أكرم والد)...
ولم يكد والد زيد يعلم مستقر ولده حتى أغذ السير

إليه، ومعه أخوه...
وفى مكة مضيا يسألان عن " الأمين محمد "...
ولما لقياه قالا له:
(يا ابن عبد المطلب...
" يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم، تفكون العاني،
وتطعمون الأسير... جئناك في ولدنا، فامنن علينا وأحسن
في فدائه)...
كان الرسول صلى الله عليه وآله يعلم تعلق زيد به، وكان في نفس
الوقت يقدر حق أبيه فيه...
هنا لك قال لحارثة:
(ادعوا زيدا، وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير
فداء... وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من
اختارني فداء)!
وتهلل وجه " حارثة " الذي لم يكن يتوقع كل هذا
السماح، وقال: " لقد أنصفتنا، وزدتنا على النصف "...
ثم بعث النبي صلى الله عليه وآله إلى زيد، ولما جاء سأله:
(هل تعرف هؤلاء)؟

قال زيد: نعم، هذا أبى... وهذا عمى...
وأعاد عليه الرسول صلى الله عليه وآله ما قاله لحارثة... وهنا قال زيد:
(ما أنا بالذي أختار عليك أحدا، أنت الأب،
والعم)!
وندیت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بدموع شاكرة وحانية، ثم أمسك بيد زيد، وخرج به إلى فناء الكعبة، حيث قريش مجتمعة هناك، ونادى الرسول:
(اشهدوا أن زيدا ابني... يرثني وأرثه)...!
وكاد قلب " حارثة " يطير من الفرح... فابنه لم يعد حرا فحسب، بل وابنا للرجل الذي تسميه قريش " الصادق الأمين " سليل بنى هاشم، وموضع حفاوة مكة كلها...
وعاد الأب والعم إلى قومهما، مطمئنين على ولدهما الذي تركاه سيدا في مكة، آمنا ومعافى، بعد أن كان أبوه لا يدرى: أغا له السهل، أم غاله الجبل!

تبنى الرسول زيدا... وصار لا يعرف في مكة كلها إلا باسمه هذا: " زيد بن محمد "...

وفي يوم باهر الشروق، نادى الوحي محمدا:

(اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ، وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)...

ثم تتابعت نداءاته، وكلماته:

(يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر)...

(يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهتدى القوم الكافرين)...

وما إن حمل رسول الله صلى الله عليه وآله تبعة الرسالة حتى كان " زيد " ثاني المسلمين... بل قيل إنه كان أول المسلمين! (١)

الروايات الثابتة والمتواترة عند المسلمين كافة أن أول من آمن من النساء خديجة، وأول من آمن من الرجال علي بن أبي طالب ابن عمه وربيبه.

أحبه رسول الله صلى الله عليه وآله حبا عظيما، وكان بهذا الحب خليقا وجديرا... فوفاؤه الذي لا نظير له، وعظمة روحه، وعفة ضميره ولسانه ويده...

كل ذلك وأكثر من ذلك كان يزين خصال " زيد بن حارثة " أو " زيد الحب " كما كان يلقبه أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام...

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها:

(ما بعث رسول الله زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي حيا بعد الرسول لاستخلفه)...

إلى هذا المدى كانت منزلة " زيد " عند رسول الله...

فمن كان " زيد " هذا؟

إنه – كما قلنا – ذلك الطفل الذي سبى، ثم بيع، ثم حرره الرسول وأعتقه...

وإنه ذلك الرجل القصير، الأسمر، الأفطس الأنف، بيد أنه أيضا ذلك الإنسان الذي " قبله جميع، وروحه حر "...

ومن ثم وجد له في الإسلام، وفي قلب رسول الله

أعلى منزلة وأرفع مكان، فلا الإسلام ولا رسوله من يعبأ
لحظة بجاه النسب، ولا بوجاهة المظهر.
في رحاب هذا الدين العظيم، يتألق " بلال " ويتألق
" صهيب " ويتألق " عمار " و " خباب " و " اسامة "
و " زيد "...
يتألفون جميعا كأبرار، وقادة...
لقد صحح الإسلام قيم الحياة حين قال كتابه
الكريم:
(ان أكرمكم عند الله أتقاكم)...
وفتح الأبواب والرحاب للمواهب الخيرة،
وللكفايات النظيفة، الأمينة، المعطية...
وزوج رسول الله زيدا من ابنة عمه " زينب ".
و يبدو أن " زينب " رضى الله عنها قد قبلت هذا
الزواج تحت وطأة حيائها أن ترفض شفاعة رسول الله،
أو ترغب بنفسها عن نفسه...
ولكن الحياة الزوجية أخذت تتعثر، وتستنفد عوامل بقائها، فانفصل زيد عن زينب.

وحمل الرسول مسؤوليته تجاه هذا الزواج الذي
كان مسؤولا عن إمضائه، والذي انتهى بالانفصال، فضم
ابنة عمه إليه واختارها زوجة له، ثم اختار لزيد زوجة
جديدة هي " أم كلثوم بنت عقبة "...
وذهب الشائنون يرجفون في المدينة: كيف يتزوج
" محمد " مطلقة ابنه زيد؟
فأجابهم القرآن مفرقا بين الأدعياء والأبناء... بين
التبني والبنوة، ومقررا إلغاء عادة التبني، ومعلنا:
(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم النبيين).
وهكذا عاد لزيد اسمه الأول: " زيد بن حارثة ".
والآن...
هل ترون هذه القوات المسلمة الخارجة إلى معركة
" الجموح "...
إن أميرها هو " زيد بن حارثة ".
وهذه القوات الزاحفة إلى معارك " الطرف "،

و " العيص "، و " حسمي " وغيرها.
إن أميرها جميعا، هو زيد بن حارثة...
فهو كما سمعنا السيدة عائشة رضى الله عنها
تتحدث من قبل: " لم يبعثه النبي عليه الصلاة والسلام في
جيش قط، إلا جعله أمير هذا الجيش "...
حتى جاءت " غزوة مؤتة "...
كان الروم بإمبراطوريتهم الهرمة، قد بدأوا
يوجسون من الإسلام خيفة... بل صاروا يرون فيه خطرا
يهدد وجودهم، لا سيما في بلاد الشام التي يستعمرون ها،
والتي تتاخم بلاد هذا الدين الجديد، المنطلق في عنفوان
واكتساح...
وهكذا راحوا يتخذون من الشام نقطة وثوب على
الجزيرة العربية، وبلاد الإسلام...
أدرك رسول الله هدف المناوشات التي بدأها الروم
ليعجموا بها عود الإسلام، فقرر أن يبادرهم، ويقنعهم
بتصميم الإسلام على المقاومة...

وهكذا...
وفي جمادى الأولى من العالم الثامن الهجري خرج
جيش الإسلام إلى أرض " البلقاء " بالشام، حتى إذا بلغوا
تخمومها لقيتهم جيوش هرقل من الروم ومن القبائل
المستعربة التي كانت تقطن الحدود...
ونزل جيش الروم في مكان يسمى " مشارف "...
بينما نزل جيش الإسلام بجوار بلدة تسمى
" مؤتة "، حيث سميت الغزوة باسمها...
كان رسول الله يدرك أهمية هذه الغزوة وخطرها
فاختار لها ثلاثة من رهبان الليل، وفرسان النهار...
ثلاثة من الذين باعوا لله أنفسهم فلم يعد لهم مطمع
ولا أمنية إلا في استشهاد عظيم يصافحون إثره رضوان الله
تعالى، ويطالعون وجه الكريم...
وكان هؤلاء الثلاثة وفق ترتيبهم في إمارة الجيش
هم:
زيد بن حارثة.

جعفر بن أبى طالب.
عبد الله بن رواحة.
رضى الله عنهم وأرضاهم، ورضى عن الصحابة أجمعين...
وهكذا رأينا رسول الله عندما وقف يودع الجيش يلقى أمره السالف:
(عليكم زيد بن حارثة...
فإن أصيب زيد، فجعفر بن أبى طالب...
فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة)...
وعلى الرغم من أن " جعفر بن أبى طالب " كان من أقرب الناس إلى قلب ابن عمه رسول الله...
وعلى الرغم من شجاعته، وجسارته، وحسبه ونسبه، فقد جعله رسول الله الأمير التالي ل " زيد "، وجعل " زيدا " الأمير الأول للجيش... (١).
وبمثل هذا، كان الرسول يقرر دوما حقيقة أن

راجع الهامش في صدر البحث.

الإسلام دين جديد جاء يلغى كل العلاقات الإنسانية الفاسدة والقائمة على أسس من التمايز الفارغ الباطل، لينشئ مكانها علاقات جديدة، رشيدة، قوامها إنسانية الإنسان...!

ولكأنما كان رسول الله عليه السلام يقرأ غيب المعركة المقبلة حين وضع امراء الجيش على هذا الترتيب: زيد، فجعفر، فابن رواحة... فقد لقوا ربهم جميعا وفق هذا الترتيب أيضا!

ولم يكد المسلمون يطالعون جيش الروم الذي حزروه بمائتي ألف مقاتل حتى أذهلهم العدد الذي لم يكن لهم في حساب...

ولكن متى كانت معارك الإيمان معارك كثرة؟

هنالك أقدموا ولم يبالوا... وأمامهم قائدهم " زيد " حاملا راية رسول الله: مقتحما رماح العدو ونباله وسيوفه، لا يبحث عن النصر، بقدر ما يبحث عن المضجع الذي ترسو عنده صفقته مع الله الذي اشترى من المؤمنين

أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.
لم يكن " زيد " يرى حواليه رمال البلقاء، ولا جيوش الروم بل كانت روابي الجنة، ورفرفها الخضر، تخفق أمام عينيه كالأعلام، تنبئه أن اليوم يوم زفافه...
وكان وهو يضرب، ويقاتل، لا يطوح رؤوس مقاتليه (فحسب)، وإنما يفتح الأبواب، ويفض الأغلاق التي تحول بينه وبين الباب الكبير الواسع، الذي سيدلف منه إلى دار السلام، وجنات الخلد، وجوار الله... وعانق " زيد " مصيره...
وكانت روحه وهي في طريقها إلى الجنة تبتسم محبورة وهي تبصر جثمان صاحبها، لا يلفه الحرير الناعم، بل يضمخه دم طهور سال في سبيل الله...
ثم تتسع ابتسامتها المطمئنة الهانئة، وهي تبصر ثاني الامراء " جعفرا " يندفع كالسهم صوب الراية ليتسلمها، وليحملها قبل أن تغيب في التراب...
وفي الأعلام للزركلي (١):

الأعلام، للزركلي ٣: ٥٧.

زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي – صحابي –
اختطف في الجاهلية صغيرا، واشترته أم المؤمنين خديجة
بنت خويلد فوهبته إلى النبي صلى الله عليه وآله حين تزوجها فتبناه
النبي – قبل الإسلام – وأعتقه وزوجه بنت عمته، واستمر
الناس يسمونه " زيد بن محمد " حتى نزلت آية (ادعوهم
لآبائهم) وهو أقدم الصحابة إسلاما.
وكان النبي صلى الله عليه وآله لا يعثه في سرية إلا أمره عليها،
وكان يحبه ويقدمه، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة،
فاستشهد فيها سنة ٨ ه = ٦٢٩ م.
وفي أسد الغابة لابن الأثير (١):
زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب الكعبي إلى أن
ينتهى إلى قضاعة.
ويكنى أبا اسامة، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، أصابه سباء
في الجاهلية، لأن أمه خرجت به تزور قومها بنى معن،
فأغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر، فأخذوا زيدا،

أسد الغابة، لابن الأثير ٢: ٢٨١.

فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته إلى النبي صلى الله عليه وآله بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثمان سنين.

وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين عمه حمزة بن المطلب.

وكان أبوه حارثة بن شراحبيل قد وجد لفقده وجدا شديدا، فقال فيه.

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدرى وإن كنت سائلا
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بحل

إلى آخر الأبيات.

ثم إن أناس من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه، فقال لهم أبلغوا عنى أهلي هذه الأبيات، وإني أعلم أنهم جزعوا على. فقال:

أحن إلى قومي وإن كنت نائيا
فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي شجاكم
ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسوة
كرام معد كابرا بعد كابر
فانطلق الكلبيون، فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه،
وعند من هو، فخرج حارثة وأخوه كعب ابنا شراحبيل
لفدائه، فقدما مكة، فدخلا على النبي صلى الله عليه وآله فقالا: يا ابن
عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، جئناك في
ابننا عندك فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه.
فقال صلى الله عليه وآله: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة.
فقال صلى الله عليه وآله: فهلا غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟
قال: ادعوه وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم، وإن
اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحد.
قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنت.
فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا زيد، هل تعرف

هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبى وهذا عمى.
قال صلى الله عليه وآله: فأنا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك،
فاخترني أو اخترهما. قال: ما أريدهما، وما أنا بالذي
أختار عليك أحد، أنت منى مكان الأب والعم. فقالا:
ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك
وأهل بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئا، ما
أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله
ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال: يا من حضر، اشهدوا أن
زيدا ابني، يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت
نفوسهما وانصرفا.
عن الزهري: أول من أسلم خديجة، وقال ابن
إسحاق: إن عليا (أسلم) بعد خديجة، ثم بعده زيد.
وشهد زيد بدرا، وزوجه مولاته أم أيمن فولد له:
اسامة بن زيد، وكان زوج زينب بنت جحش، وهي ابنة
عمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي التي تزوجها صلى الله عليه وآله بعد زيد،
كما
ذكر ذلك الحكيم في سورة الأحزاب: ٣٧. إلى ما ذكر مثل
ذلك أرباب السير والتأريخ.

وفى الإصابة لابن حجر العسقلاني (١).
زيد بن حارثة بن شراحبيل الكعبي - تقدم نسبه،
كما تقدم ترجمته مفصلا في أسد الغابة، وكيفية خطفه
وسبيه وبيعه، وتبنيه، وزواجه إلى شهادته -.
وفي الاستيعاب على هامش الإصابة (٢):
زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي أبو اسامة،
مولى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر نسبه الذي تقدم ذكره.
كان زيد قد أصابه سباء في الجاهلية، فاشتراه
حكيم بن حزام بأربعمائة درهم في سوق حباشة، وهو
سوق بناحية مكة، كان مجمعا للعرب يتسوقون بها في كل
سنة، اشتراه حكيم لعمته خديجة بنت خويلد عليه السلام، فوهبته
لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد زواجه منها، فتبناه على خلق قريش
وهو ابن ثمان سنين، وكان صلى الله عليه وآله أكبر منه بعشرين سنة،

الإصابة: لابن حجر العسقلاني ٢: ٥٩٨، طبعة دار الجيل - بيروت.
الاستيعاب ١: ٥٤٤، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

سبق ذكره مفصلا، وقدوم أهله للفداء، وإعلان تبنيه، وكان يدعى " زيدا بن محمد "، وبعد البعثة نزلت الآية الكريمة: (ادعوهم لآبائهم) فدعى يومئذ " زيد بن حارثة "، وقد دعى جميع الأدعياء إلى آبائهم، وقد تقدم ذكر زواجه، وولده اسامة.

عن أبى القاسم عبد الوارث بن سفيان... قال:

حدثنا ليث بن سعد، قال: بلغني أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف اشترط عليه المكرى أن ينزله حيث شاء. قال: فمال به إلى خربة، فقال له: انزل فنزل. فإذا في الخربة قتلى كثيرة، قال: فلما أراد أن يقتله قال له: دعني اصلى ركعتين. قال: المكارى صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا. قال: فلما صليت أتاني ليقتلني. قال: فقلت: يا أرحم الراحمين. فسمع صوتا: لا تقتله. فهاب ذلك فخرج يطلب فلم يجد شيئا، فرجع إلى، فناديت: يا أرحم الراحمين، ففعل ذلك ثلاثا، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة من نار فطعنه بها، فأنفذه من ظهره فوقع ميتا.

وفي طبقات ابن سعد (١).
زيد الحب بن حارثة بن شراحبيل كما سبق ذكر
نسبه مفصلا، وكذلك ترجمته ابتداء من خطفه وأسره وبيعه
وتبنيه ومطالبة أهله به وزواجه وصحبته وشهادته.
ولا يوجد في الطبقات جديد، لذلك آثرنا عدم
ذكره روما للاختصار.
وفي رجال الخوئي (٢):
نسب ابن داود إلى رجال الشيخ، عده في أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه قتل بمؤتة - راجع الرقم ٦٤٨ من
القسم الأول -.
نعم، كون زيد بن حارثة، أبى اسامة من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله لا إشكال فيه، وهو الذي تبناه، وآخى بينه
وبين أسيد بن حضير، كما تقدم برقم ١٤٨٠.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم عاش وجاهد، ويوم
استشهد، ويوم يبعث حيا.

الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣: ٤٠.
معجم رجال الحديث ٨: ٣٤٩، الرقم ٤٨٥٣، طبعة إيران.

المصادر

١ – رجال حول الرسول: ٢٥٥
٢ – طبقات ابن سعد ٣: ٤٠
٣ – الاستيعاب ٢: ٥٤٤
٤ – الإصابة ٤: ٤٧
٥ – أعيان الشيعة ٧: ٩٤
٦ – معجم رجال الحديث ٧: ٣٣٨
٧ – سير أعلام النبلاء ١: ٢٢٠
٨ – أسد الغابة ٢: ٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) (١)
عبد الله بن رواحة
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

النحل: ١٢٨.

عبد الله بن رواحة
في رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله (١):
عندما كان رسول الله يجلس مستخفيا من كفار
قريش مع الوفد القادم من المدينة هناك عند مشارف
مكة، يبايع اثنى عشر نقيبا من الأنصار بيعة العقبة الأولى،
كان " عبد الله بن رواحة " واحدا من هؤلاء النقباء - حملة
الإسلام إلى المدينة، والذين مهدت بيعتهم هذه للهجرة
التي كانت بدورها منطلقا رائعا لدين الله، الإسلام...
وعندما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يبايع في

رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله، لخالد محمد خالد: ٢٧٨ - ٢٨٢.

العالم التالي ثلاثة وسبعون من الأنصار أهل المدينة بيعة العقبة الثانية، كان " ابن رواحة " العظيم واحدا من النقباء المبايعين أيضا...

وبعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة

واستقرارهم بها، كان عبد الله بن رواحة من أكثر الأنصار عملا لنصرة الدين ودعم بنائه، وكان من أكثرهم يقظة لمكايد عبد الله بن أبي الذي كان أهل المدينة يتهيأون لتتوجه ملكا عليها قبل أن يهاجر الإسلام إليها، والذي لم تبارح حلقومه مرارة الفرصة الضائعة، فمضى يستعمل دهاءه في الكيد للإسلام.

بينما مضى عبد الله بن رواحة يتعقب هذا الدهاء

ببصيرة منيرة، أفسدت على " ابن أبى " أكثر مناوراته، وشلت حركة دهائه...!

وكان " ابن رواحة " صلى الله عليه وآله، كاتبا في بيئة لا عهد لها بالكتابة إلا يسيرا.

وكان شاعرا، ينطلق الشعر من بين ثناياه عذبا قويا...

ومنذ أسلم، وضع مقدرته الشعرية في خدمة الإسلام...
وكان الرسول يحب شعره ويستزيده منه...
جلس عليه السلام يوما مع أصحابه، وأقبل عبد الله ابن رواحة، فسأله النبي:
(كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول)؟
فأجاب عبد الله: (أنظر في ذاك ثم أقول)...
ومضى على البديهة ينشد:

يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه
فراسة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم
في حل أمرك ما ردوا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبت موسى ونصرا كالذي نصروا

فسر الرسول ورضى وقال له:

(وإياك، فثبت الله)...
وحين كان الرسول صلى الله عليه وآله يطوف بالبيت في عمرة القضاء كان ابن رواحة بين يديه ينشد من رجزه:
يا رب لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الذين قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا
وكان المسلمون يرددون أنشودته الجميلة...
ويحزن الشاعر المكثر، حين تنزل الآية الكريمة:
(والشعراء يتبعهم الغاوون)...
ولكنه يسترد غبطة نفسه حين تنزل آية أخرى:
(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثرا، وانتصروا من بعد ما ظلموا).
وحين يضطر الإسلام لخوض القتال دفاعا عن نفسه، يحمل " ابن رواحة " سيفه في مشاهد " بدر " و " أحد " و " الخندق " و " الحديبية " و " خيبر " جاعلا

شعاره دوما هذه الكلمات من شعره وقصيدة:
(يا نفس إلا تقتلي تموتي)...
وصائحا في المشركين في كل معركة وغزاة:
خلوا بنى الكفار عن سبيله
خلوا، فكل الخير في رسوله
وجاءت غزوة " مؤتة "...
وكان عبد الله ثالث الامراء، كما أسلفنا في الحديث
عن " زيد " و " جعفر "...
ووقف " ابن رواحة " رحمة الله عليه والجيش يتأهب لمغادرة
المدينة...
وقف يقول وينشد:
لكنني أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

أجل... تلك كانت أمنيته، ولا شئ سواها... ضربة
سيف أو طعنة رمح، تنقله إلى عالم الشهداء الظافرين...!
وتحرك الجيش إلى مؤتة، وحين استشرف
المسلمون عدوهم حزروا جيش الروم بمائتي ألف
مقاتل... إذ رأوا صفوفا لا آخر لها، وأعدادا تفوق الحصر
والحساب!
ونظر المسلمون إلى عددهم القليل، فوجموا...
وقال بعضهم:
" فلنبعث إلى رسول الله، نخبره بعدد عدونا، فإما
أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بالزحف فنطيع "...
بيد أن " ابن رواحة " نهض وسط صفوفهم كالنهار،
وقال لهم:
(يا قوم...
" إنا والله، ما نقاتل أعداءنا بعدد، ولا قوة، ولا
كثرة...
" ما نقاتلهم إلا الذين الذي أكرمنا الله به...

" فانطلقوا... فإنما هي إحدى الحسنيين، النصر، أو الشهادة)...
وهتف المسلمون الأقلون عددا، الأكثرون إيمانا، هتفوا قائلين:
(قد والله، صدق ابن رواحة)...
ومضى الجيش إلى غاية، يلاقى بعدده القليل
مائتي ألف، حشدهم الروم للقتال الضاري الرهيب...
والتقى الجيشان كما ذكرنا من قبل...
وسقط الأمير الأول " زيد بن حارثة " شهيدا مجيدا...
وتلاه الأمير الثاني " جعفر بن أبى طالب " حتى أدرك الشهادة في غبطة وعظمة (١)...
وتلاه ثالث الامراء " عبد الله بن رواحة " فحمل الراية من يمين " جعفر "... وكان القتال قد بلغ ضراوته،

في روايات أهل البيت عليهم السلام: الأمير الأول كان جعفر بن أبى طالب، والأمير الثاني زيد بن حارثة، رضوان الله عليهم.

وكادت القلة المسلمة تتوه في زحام الجيش العرموم اللجب، الذي حشده هرقل...
وحين كان " ابن رواحة " يقاتل كجندي، كان يصول ويجول في غير تردد ولا مبالاة...
أما الآن... وقد صار أميرا للجيش ومسؤولا عن حياته، فقد بدا أمام ضراوة الروم، وكأنما مرت به لمسة تردد وتهيب، لكنه ما لبث أن استجاش كل قوى المخاطرة في نفسه وصاح:

أقسمت يا نفس لتنزلنه
ما لي أراك تكرهين الجنة؟
يا نفس إلا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلي فعلهما هديت

يعنى بهذا صاحبيه اللذين سبقاه إلى الشهادة: زيدا، وجعفر...

إن تفعلي فعلهما هديت

وانطلق يعصف بالروم عصفا...
ولو لا كتاب سبق بأن يكون اليوم موعده مع الجنة،
لظل يضرب بسيفه حتى يفني الجموع المقاتلة... لكن
ساعة الرحيل دقت معلنة بدء مسيرته إلى الله، فصعد
شهيدا...
هوى جسده، فصعدت إلى الرفيق الأعلى روحه
المستبسلة الطاهرة...
وتحققت أغلى أمانيه:
حتى يقال إذا مروا على جدثي
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا
نعم... يا ابن رواحة...
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا!
و بينما كان القتال يدور فوق أرض البلقاء بالشام،
كان رسول الله يجلس مع أصحابه في المدينة، يحادثهم
ويحادثونه...
وفجأة، والحديث ماض في تهلل وطمأنينة، صمت
رسول الله، وأسبل جفنيه قليلا... ثم رفعهما لينطلق من

عينيه بريق ساطع يبلله أسى وحنان...!
وطوفت نظراته الآسية بوجوه أصحابه، وقال:
(أخذ الراية " زيد بن حارثة " فقاتل بها حتى قتل شهيدا...
" ثم أخذها " جعفر " فقاتل بها، حتى قتل شهيدا...
وصمت قليلا، ثم استأنف كلماته قائلا:
" ثم أخذها " عبد الله بن رواحة " فقاتل بها، حتى قتل شهيدا)...
ثم صمت قليلا، وتألقت عيناه بومض متهلل، مطمئن، مشتاق، ثم قال:
(لقد رفعوا إلى في الجنة)...!
أية رحلة مجيدة كانت...
وأي اتفاق سعيد كان...
لقد خرجوا إلى الغزو معا...
وصعدوا إلى الجنة معا...
وكانت خير تحية توجه لذكراهم الخالدة، كلمات رسول الله هذه:

(لقد رفعوا إلى في الجنة)...!
بعد ما نقله خالد محمد خالد في (رجال حول
الرسول صلى الله عليه وآله) تذكر ما في طبقات ابن سعد (١) ملخصا:
عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن
عمرو، إلى أن ينتهى نسبه إلى الحارث بن الخزرج.
عن جابر بن عبد الله في حديث رواه عن عبد الله
ابن رواحة إنه كان يكنى أبا محمد، أو أبا رواحة، وكان
يكتب في الجاهلية، وشهد عبد الله بن رواحة بيعة العقبة
مع السبعين من الأنصار، وهو أحد النقباء الاثني عشر من
الأنصار وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر،
وعمرة القضاء، وقدمة رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر يبشر أهل
العالية بما فتح الله عليه، والعالية بنو عمرو بن عوف
وخطه، ووائل (ويطلق على المنطقة اليوم ب: العوالي ".
واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة حين خرج
إلى غزوة بدر الموعد، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله (في) سرية

طبقات ابن سعد ٣: ٥٢٥ و ٦١٢، طبعة دار صادر - بيروت.

في ثلاثين راكبا إلى أسير بن رازم اليهودي بخيبر فقتله، وبعثه (أيضا) إلى خيبر خارصا فلم يزل يخرص عليهم إلى أن قتل بمؤتة، وكان أحدا امراء الجيش في تبوك.

وفي الإصابة (١) لابن حجر العسقلاني، ملخصا:

كما ذكر نسبه ابن سعد في طبقاته، وأضاف أنه شاعر مشهور، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة.

وفيه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: رحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة.

وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبى بكر بن حزم، وقال: كان زيد بن أرقم يتيما في حجر عبد الله بن رواحة، فخرج معه إلى سرية مؤتة فسمعه في الليل يقول:

إذا أدنيتني وحملت رحلي
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلي ورائي

الإصابة ٤: ٨٢، الحديث ٤٦٧٩، طبعة دار الجيل - بيروت.

وجاء المؤمنون وخلفوني
بأرض الشام مشهور الثواء
فبكى زيد بن أرقم فخفقه بالدرة، فقال: ما عليك يا
لكع أن يرزقني الله الشهادة ونرجع بين شعبتي الرحل...
فذكر القصة في صفة قتله في غزوة مؤتة بعد أن قتل جعفر
الطيار وقبله زيد، بن حارثة.
أخرج أبو يعلى بسند حسن... عن أنس قال: دخل
النبي صلى الله عليه وآله مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو
يقول:
خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله
هذا ملخص ما ذكره ابن حجر في الإصابة.
وفي الأعلام للزركلي ما ملخصه:
عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج
– أبو محمد – صحابي يعد من الامراء والشعراء الراجزين،

كان يكتب في الجاهلية، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية، واستخلفه النبي صلى الله عليه وآله على المدينة في إحدى غزواته، وصحبه في عمرة القضاء، وله رجز، وكان أحد الامراء في وقعة مؤتة " بأدنى البلقاء من أرض الشام " فاستشهد فيها.

وفي حلية الأولياء (١) لأبى نعيم الأصفهاني:

عبد الله بن رواحة الأنصاري، من المتفكرين عند نزول الآيات، والمتبصر عند تناول الرايات، عبد الله بن رواحة، استشهد بالبلقاء، زاهدا في البقاء، راغبا في اللقاء.

لما أراد ابن رواحة الخروج إلى أرض مؤتة من الشام، أتاه المسلمون يودعونه فبكى فقالوا له: ما يبكيك؟ قال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة لكم،

حلية الأولياء، لأبى نعيم الأصفهاني ١: ١١٨، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) فقد علمت أنى وارد النار، ولا أدرى كيف الصدر بعد الورود.

... عن عروة بن الزبير، قال: لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة قال للمسلمين: صحبكم الله، ودفع عنكم، أنشد عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي
أرشدك الله من غاز وقد رشدا

قال: ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلى، في مائة ألف فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله فنخبره بعدد عدونا، قال:

فشجع عبد الله بن رواحة الناس، ثم قال: والله يا قوم إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور، وإما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة. فمضى الناس.

قال محمد بن إسحاق: لما قتل زيد وجعفر أخذ ابن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه وتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه
بطاعة منك أو لتكرهنه
إذا جلبت الناس وشدوا الرنة
ما لي أراك تكرهين الجنة
لطالما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في سنة

وقال: يا نفس إلا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت

فلما نزل أتاه ابن عمه بعظم فيه لحم فقال: شد بهذا صلبك فإنك قد لاقيت من أيامك هذه ما قد لاقيت، فأخذه من يده، ثم انتهش منه نهشة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاها من يده، وسل سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه.

ولما أصيب القوم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فيما بلغني أخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل شهيدا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا رضوان الله عليهم.

وفي أسد الغابة (١) لابن الأثير:

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة إلى أن ينتهى إلى ابن الحارث بن الخزرجي، الأنصاري، كما ذكر في مصادر قبلها.

وكان ممن شهد العقبة، وكان نقيب بنى الحارث بن الخزرج، وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر

أسد الغابة، لابن الأثير ٣: ٢٣٤.

وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا الفتح وما بعده، فإنه كان قد قتل قبله، وكان أحد الامراء في غزوة مؤتة، وهو خال النعمان بن بشير.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة، قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسن الثبات، فقتل شهيدا وفتحت له أبواب الجنة.

وفي الاستيعاب (١)، على هامش الإصابة:

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة، وينتهى نسبه إلى ابن الحرث بن الخزرج - الأنصاري - مثله ما سلفت ذكره في المصادر المتقدمة، واستشهد في غزوة مؤتة في جمادى من سنة ثمان بأرض الشام.

روى عنه ابن عباس، عن يحيى بن أيوب، عن يحيى بن سعد، قال: كان عبد الله بن رواحة أول خارج إلى الغزو وآخر قافل.

الاستيعاب ٢: ٢٩٤، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وفي معجم رجال الحديث (١):
عبد الله بن رواحة، قال يذكر ما فعله على عليه السلام يوم
بدر في المجموع الراتق:
ليهن عليا يوم بدر حضوره
ومشهده بالحنو ضربا مرعبلا
فكائن له من يشهد غير خامل
يظل له رأس الكمي مجدلا
وغادر كبش القوم في القاع ثاويا
يحال عليه الزعفران المعللا
صريعا يبوء القشعمان برأسه
ويدنو إليه الضبع طورا ليأكلا
وفي معجم رجال الحديث كما ذكره السيد الخوئي
في رجاله، ضمن ترجمة سعد بن زرارة وعدة من النقباء
من الخزرج ليلة العقبة.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم عاش وجاهد، ويوم
استشهد، ويوم يبعث حيا.

معجم رجال الحديث ١٠: ١٨٦.

المصادر

١ – طبقات ابن سعد ٣: ٥٢٥ و ٦١٢
٢ – الجرح والتعديل ٥: ٥٠ و ٢٣٠
٣ – الاستيعاب ٢: ٨٩٨
٤ – أسد الغابة ٣: ١٥٦
٥ – سير أعلام النبلاء ١: ٢٣٠
٦ – الإصابة ٢: رقم الترجمة ٤٦٧٦
٧ – حلية الأولياء ١: ١١٨ – ١٢١
٨ – أعيان الشيعة ٨: ٥٢
٩ – معجم رجال الحديث ١٠: ١٨٦
١٠ – رجال حول الرسول: ٢٧٨ – ٢٨٢
وغيرها

بسم الله الرحمن الرحيم
(إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) (١)
عمرو بن الجموع
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

النحل: ١٢٨.

عمرو بن الجموع
في رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله (١):
إنه صهر عبد الله بن عمرو بن حرام، إذ كان زوجا
لأخته " هند بنت عمرو "...
وكان " ابن الجموع " واحدا من زعماء المدينة،
وسيدا من سادات بنى سلمه...
سبقه إلى الإسلام ابنه " معاذ بن عمرو " الذي كان
أحد الأنصار السبعين، أصحاب " بيعة العقبة "...
وكان " معاذ بن عمرو " وصديقه " معاذ بن جبل "
(رجال) حول الرسول صلى الله عليه وآله، لخالد محمد خالد: ٤٨٢ - ٤٨٧.

يدعوان للإسلام بين أهل المدينة في حماسة الشباب المؤمن الجرئ...
وكان من عادة الناس هناك أن يتخذ الأشراف في بيوتهم أصناما رمزية غير تلك الأصنام الكبيرة المنصوبة في محالف ها، والتي تؤمها جموع الناس...
وعمرو بن الجموع باعتباره شريفا وسيدا، كان قد اصطنع صنما أقامه في داره وأسماه " مناف "...
واتفق ولده " معاذ بن عمرو " مع صديقه " معاذ بن جبل " على أن يجعلا من صنم " عمرو بن الجموح " سخرية ولعبا...
فكانا يدل جان عليه ليلا، ثم يحملانه ويطرحانه في حفرة يطرح الناس فيها فضلاتهم...
ويصبح " عمرو " فلا يجد " منافا " في مكانه، ويبحث عنه حتى يجده طريح تلك الحفرة... فيثور ويقول:
ويلكم، من عدا على آلهتنا هذه الليلة!؟
ثم يغسله، ويطهره، ويطيبه...

فإذا جاء ليل جديد، صنع المعاذان " معاذ بن
عمرو " و " معاذ بن جبل " بالصنم مثل ما يفعلان به كل
ليلة.
حتى إذا سئم " عمرو " جاء بسيفه ووضعه في عنق
" مناف " وقال له: إن كان فيك خير فدافع عن نفسك!
فلما أصبح لم يجده مكانه... بل وجده في الحفرة
ذاتها طريحا، بيد أنه في هذه المرة لم يكن في حفرته
وحيدا... بل كان مشدودا مع كلب ميت في حبل وثيق.
وإذا هو في غضبه، وأسفه، ودهشه، اقترب منه
بعض أشراف المدينة الذين كانوا قد سبقوا إلى الإسلام...
وراحوا، وهم يشيرون بأصابعهم إلى الصنم
المنكس المقرون بكلب ميت، يخاطبون في " عمرو بن
الجموع " عقله وقلبه ورشده، محدثينه عن الإله الحق،
العلى الأعلى، الذي ليس كمثله شئ...
وعن " محمد " الصادق الأمين، الذي جاء الحياة
ليعطى لا ليأخذ... ليهدي، لا ليضل...
وعن الإسلام، الذي جاء يحرر البشر من الأغلال

– جميع الأغلال – وجاء يحيى فيهم روح الله وينشر في قلوبهم نوره.
وفي لحظات وجد " عمرو " نفسه ومصيره...
وفي لحظات – ذهب، فطهر ثوبه، وبدنه... ثم تطيب وتأنق، وتألق، وذهب عالي الجبهة مشرق النفس، ليبايع خاتم المرسلين، وليأخذ مكانه مع المؤمنين...
قد يسأل سائل نفسه: كيف كان رجال من أمثال " عمرو بن الجموح "... وهم زعماء في قومهم وأشراف...
كيف كانوا يؤمنون بأصنام هازلة كل هذا الإيمان؟
وكيف لم تعصمهم عقولهم عن مثل هذا الهراء...
وكيف نعدهم اليوم – حتى مع إسلامهم وتضحياتهم – من عظماء الرجال؟
ومثل هذا السؤال يبدو إيراده سهلا في أيامنا هذه حيث لا نجد طفلا يسيغ عقله أن ينصب في بيته خشبة ثم يعبدها...
لكن في أيام خلت، كانت عواطف البشر تتسع

لمثل هذا الصنيع دون أن يكون لذكائهم ونبوغهم حيلة تجاه تلك التقاليد!
وحسبنا لهذا مثلا " أثينا "...
أثينا في عصر " باركليز " و " فيثاغورس " و " سقراط "...
أثينا التي كانت قد بلغت رقيا فكريا يبهر الألباب،
كان أهلها جميعا: فلاسفة، وحكاما، وجماهير يؤمنون بأصنام منحوتة إيمانا تناهى في البلاهة والسخرية!
ذلك أن الوجدان الديني في تلك العصور البعيدة،
لم يكن يسير في خط مواز للتفوق العقلي...
أسلم " عمرو بن الجموح " قلبه، وحياته لله رب العالمين، وعلى الرغم من أنه كان مفطورا على الجود والسخاء، فإن الإسلام زاد جوده مضاء، فوضع كل ماله في خدمه دينه واخوانه.
سأل الرسول جماعة من " بنى سلمة " قبيلة " عمرو ابن الجموح " فقال:

– من سيدكم يا بنى سلمة؟
قالوا: الجد بن قيس، على بخل فيه...
فقال عليه السلام:
(وأي داء أدوى من البخل!!
بل سيدكم الجعد الأبيض، عمرو بن الجموح)...
فكانت هذه الشهادة من رسول الله تكريما لابن
الجموح، أي تكريم!
وفي هذا قال شاعر الأنصار:
فسود عمرو بن الجموح لجوده
وحق لعمرو بالندى أن يسودا
إذا جاءه السؤال أذهب ماله
وقال: خذوه، إنه عائد غدا
وبمثل ما كان " عمرو بن الجموح " يجود بماله في
سبيل الله، أراد أن يجود بروحه وبحياته...
ولكن... كيف السبيل؟
إن في ساقه عرجا شديدا يجعله غير صالح
للاشتراك في قتال.

وإن له أربعة أولاد، كلهم مسلمون، وكلهم رجال كالأسود، كانوا يخرجون مع الرسول في الغزو، ويثابرون على فريضة الجهاد...
ولقد حاول " عمرو " أن يخرج في غزوة " بدر " فتوسل أبناؤه إلى النبي كي يقنعه بعدم الخروج، أو يأمره به إذا هو لم يقتنع...
وفعلا، أخبره النبي أن الإسلام يعفيه من الجهاد كفريضة، وذلك لعجزه الماثل في عرجه الشديد...
بيد أنه راح يلح ويرجو... فأمره الرسول بالبقاء في المدينة.
وجاءت " غزوة أحد "، فذهب " عمرو " إلى النبي يتوسل إليه أن يأذن له وقال له:
(يا رسول الله... إن بنى يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك إلى الجهاد...
" ووالله إني لأرجو أن – أخطر – بعرجتي هذه في الجنة)...

وأمام إصراره العظيم أذن له النبي عليه السلام بالخروج، فأخذ سلاحه، وانطلق يخطر في حبور وغبطة، ودعا ربه بصوت ضارع:
(اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي)!
والتقى الجمعان يوم " أحد "...
وانطلق " عمرو بن الجموح " وأبناؤه الأربعة يضربون بسيوفهم جيش الضلال والشرك...
كان " عمرو " يخطر، وسط المعمعة الصاخبة، ومع كل خطرة يقطف سيفه رأسا من رؤوس الوثنية...
كان يضرب الضربة بيمينه، ثم يلتفت حواليه في الأفق الأعلى، كأنه يتعجل قدوم الملاك الذي سيقبض روحه، ثم يصحبها إلى الجنة...
أجل... فلقد سأل ربه الشهادة، وهو واثق أن الله سبحانه قد استجاب له...
وهو مغرم - بأن يخطر بساقه العرجاء في الجنة ليعلم أهلها أن محمدا رسول الله، يعرف كيف

يختار الصحاب وكيف يربى الرجال!
وجاء ما كان ينتظر.
ضربة سيف أو مضت، ملعنة ساعة الزفاف...
زفاف شهيد مجيد إلى جنات الخلد، وفردوس
الرحمن!
وإذ كان المسلمون يدفنون شهداءهم، قال الرسول
عليه السلام أمره الذي سمعناه من قبل:
(انظروا، فاجعلوا عبد الله بن حرام وعمرو بن
الجموح في قبر واحد، فإنهما كانا في الدنيا متحابين
متصافيين)!
ودفن الحبيبان الشهيدان في قبر واحد، تحت ثرى
الأرض التي تلقت جثماني هما الطاهرين، بعد ان شهدت
بطولتهما الخارقة.
وبعد مضى ست وأربعين سنة على دفنهما
ورفاق هما، نزل سيل شديد غطى أرض القبور، بسبب عين

من الماء أجراها هناك معاوية، فسارع المسلمون إلى نقل رفات الشهداء، فإذا هم كما وصفهم الذين اشتركوا في نقل رفات هم:
(لينة أجسادهم... تتثنى أطرافهم)!
وكان " جابر بن عبد الله " لا يزال حيا، فذهب مع أهله لينقل رفات أبيه " عبد الله بن عمرو بن حرام "، ورفات زوج عمته " عمرو بن الجموح "...
فوجدهما في قبرهما، كأنهما نائمين... لم تأكل الأرض منهما شيئا، ولم تفارق شفاه هما بسمة الرضا والغبطة التي كانت يوم دعيا للقاء الله...
أتعجبون؟ كلا، لا تعجبوا...
فإن الأرواح الكبيرة، التقية، التي سيطرت على مصيرها... تترك في الأجساد التي كانت موئلا لها، قدرا من المناعة يدرأ عنها عوامل التحلل، وسطوة التراب...
هذا ما كان في كتاب (رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله) لخالد محمد خالد.

وفى أسد الغابة (١) لابن الأثير:
عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي من بنى جشم بن الخزرج.
شهد العقبة وبدرا في قول، واستشهد يوم أحد، ودفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله الأنصاري في قبر واحد، وكانا صهرين متصافيين.
ولما أسلم عمرو بن الجموح عرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك، وما أبصره من أمره، ويشكر الله الذي أنقذه من العمى والضلال، (وقال مخاطبا صنمه بعد أن رماه في البئر):

تالله لو كنت إلها لم تكن
أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لمصرعك إلها مستدن
الآن فتشناك عن سوء الغبن

أسد الغابة، لابن الأثير ٤: ٢٠٦، الحديث ٣٨٨٥.

فالحمد لله العلى ذي المنن
الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن
أكون في ظلمة قبر مرتهن
كان عمرو بن الجموح آخر الأنصار إسلاما، ولما ندب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس إلى بدر، أراد الخروج معهم، منعه بنوه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله لشدة عرجه، فلما كان يوم أحد قال لبنيه: منعتموني الخروج إلى بدر، فلا تمنعوني الخروج إلى أحد!
فقالوا: إن الله قد عذرك.
فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة!
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما أنت فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك، وقال لبنيه: لا علكيم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة.
فأخذ سلاحه وولى، وقال: اللهم ارزقني الشهادة

ولا تردني إلى أهلي خائبا، فلما قتل يوم أحد جاء ت
زوجته هند بنت عمرو، عمة جابر بن عبد الله الأنصاري، فحملته وحملت أخاها عبد
الله بن حرام، فدفنا في قبر
واحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لقد رأيته
يطأ في الجنة بعرجته.
وقيل: إن عمرو بن الجموح كان له أربعة بنين
يقاتلون مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه حمل يوم أحد هو وابنه
خلاد على المشركين حين انكشف المسلمون، فقتلا
جميعا، أخرجه الثلاثة.
وعن الواقدي:
إن عائشة خرجت من المدينة تتطلع لأخبار معركة
أحد ومعها نسوة من المدينة، فالتقت بهند بنت عمرو بن
حرام تسويق بعيرا لها عليه جثة زوجها عمرو بن الجموح،
وابنها خلاد بن عمرو، وأخوها عبد الله بن عمرو بن
حرام، أبو جابر بن عبد الله الأنصاري، فقالت لها عائشة:
فما وراءك؟
قالت هند: أما رسول الله صلى الله عليه وآله فهو بخير، وكل

مصيبة بعد جلل، واتخذ الله من المؤمنين شهداء.
فقالت لها عائشة: ومن هؤلاء؟
قالت: أخي، وزوجي، وابني. قالت: وأين
تذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة لأدفنهم فيها.
فبينما هي تسوق بعيرها وإذا به يبرك بهم، فلما
زجرته وقف، فوجهته إلى المدينة فعاد وبرك، فرجعت به
إلى أحد فأسرع وكأنه لم يحمل شيئا، فرجعت إلى النبي
صلى الله عليه وآله وكان لا يزال في أحد، وأخبرته بما جرى. فقال: إنه
مأمور، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله، هل قال زوجك عندما
خرج شيئا؟
قالت: نعم، إنه لما خرج إلى أحد استقبل القبلة ثم
قال: اللهم لا تردني إلى أهلي، فاستجاب الله دعاءه، ثم
دفنهم صلى الله عليه وآله بيده في الموقع مع الشهداء.
وقال الواقدي:
إن النساء اللواتي شهدن أحدا: نسيبة بنت كعب أم
عمارة، وكانت قد شهدت مع زوجها غزية وابنها عمارة
ابن غزية، وولدها أيضا عبد الله بن زيد، وقد خرجت

ومعها شن لها (مملوء ماء) في أول النهار تريد أن تسقى الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلغت بلاء حسنا، وجرحت اثنا عشر جرحا بين طعن برمح وضربة بسيف.

وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لمقام نسيبة بنت كعب أم عمارة اليوم خير من مقام فلان وفلان (١).

وكان صلى الله عليه وآله يراها تقاتل يومئذ أشد القتال، وإنها حاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا.

ومن هذه النماذج الباسلة كثيرة في أصحابه صلى الله عليه وآله من الرجال والنساء.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم عاش وجاهد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا.

من المؤكد أنه صلى الله عليه وآله ذكر أسمائهم صراحة، ولما مست عظماء الصحابة أخفت السياسة الزمنية أسمائهم، وشددت الرقابة فحذفت أسمائهم وجعلتهم فلان وفلان.

المصادر

١ - رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله: ٤٨٢ - ٤٨٧
٢ - أسد الغابة ٤: ٢٠٦ - ٢٠٨، الحديث ٣٨٨٥
٣ - سير أعلام النبلاء ١: ٢٥٢
٤ - الإصابة ٧: ٩٤ - ٩٦
وغيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم
(إن الله مع الذين التقوا * والذين هم محسنون) (١)
سليم بن قيس الهلالي
الحواريون
خريجو مدرسة الرسول الأعظم وأمير المؤمنين
صلوات الله عليهم أجمعين

النحل: ١٢٨.

سليم بن قيس الهلالي
في الأعلام للزركلي (١):
سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي، من أوائل المصنفين في الإسلام، كان من أصحاب الإمام على بن أبى طالب، وعاش في الكوفة إلى أن دخل الحجاج بن يوسف الثقفي العراق، وسأل عنه، فهرب إلى " النوبندجان من بلاد فارس " ولجأ إلى دار أبان بن أبى عياش فيروز، فآواه أبان فمات عنده.
له " كتاب السقيفة " طبع باسم " كتاب سليم بن

الأعلام، للزركلي ٣: ١١٩.

قيس الكوفي " وهو من الأصول التي ترجع إليها الشيعة، وتعول عليها، قال جعفر الصادق: من لم يكن عنده كتاب سليم بن قيس، فليس عنده من أمرنا شئ وهو أبجد الشيعة.

وفى أعيان الشيعة (١).

سليم بن قيس الهلالي العامري - الكوفي - أبو صادق.

ذكر الشيخ في رجاله سليم بن قيس الهلالي في أصحاب على والحسن والحسين وعلى بن الحسين والباقر عليهم السلام.

وفى الفهرست:

سليم بن قيس الهلالي - يكنى أبا صادق - له كتاب أخبرنا به ابن أبى جيد... عن أبان بن أبى عياش عن سليم ابن قيس.

في الخلاصة:

أعيان الشيعة ٧: ٢٩٣.

قال السيد علي بن أحمد العقيقي كان سليم بن قيس
من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام طلبه الحجاج ليقتله فهرب
وآوى إلى أبان بن عياش، فلما حضرته الوفاة قال
لأبان: إن لك على حقا وقد حضرني الموت يا بن أخي،
إنه كان من الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كيت وكيت، وأعطاه
كتابا فلم يرو عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى
أبان، وذكر أبان في حديث قال: كان (أي سليم) شيخا
متعبدا له نور يعلوه.
وقال ابن الغضائري: سليم بن قيس الهلالي
العامري، روى عن أبى عبد الله، والحسن، والحسين،
وعلى بن الحسين عليهم السلام... الخ.
هذا ما ذكرنا محل الحاجة من أعيان الشيعة.
ونقل السيد الخوئي في معجم رجال الحديث (١)
نحو ذلك.

معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ٩: ٢٢٦، الحديث ٥٤٠١.

من مقدمة كتاب سليم بن قيس الهلالي (١) ملخصا، مع تغيير بعض الألفاظ التي لا تمس الأصول.

التابعي الكبير أبو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي، من خواص الإمام أمير المؤمنين، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام زين العابدين عليهم السلام، وأدرك الإمام الباقر عليه السلام أيضا.

اتصل بهؤلاء الأئمة المعصومين، وكان موثقا عندهم، مقتبسا من علومهم الفياضة، ومتصلبا في دينه، مناوئا لأعداء أهل البيت النبوي، وهو من أقدم علماء أهل البيت، وأكابر أصحابهم والموالين لهم، وكان محبوبا لديهم، ويعتبر كتابه - حسب علمنا - أول كتاب ألف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في موضوعه.

أصله من بنى هلال بن عامر الذي كانوا يقطنون الحجاز، وكانوا من أبناء نبي الله إسماعيل بن إبراهيم

مقدمة كتاب سليم بن قيس الهلالي، الجزء الأول، تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئي، طبعة نشر الهادي - قم، دراسة مفصلة.

خليل الرحمن عليهم السلام.
ولد سليم قبل الهجرة بسنتين، وعمره عند وفاة
رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر سنة، ولم يكن في المدينة زمن
رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا زمن أبى بكر وما عاش تلك الأحداث
الواقعة بعد وفاته صلى الله عليه وآله وإنما دخل المدينة شابا في أوائل
إمارة عمر قبل السنة السادسة عشر من الهجرة.
وحينما قدم سليم المدينة واجه ظروفا خاصة ربما
تعجب منها في أول أمره كما لم يزل يتعجب منها كل مسلم
عرف مبادئ دينه، وهذه صورة عن الحياة الثقافية التي
كانت حاكمة - وسائدة - في المجتمع الإسلامي حينذاك،
وخاصة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وبالتأمل فيها يعرف قيمة
ما أقدم عليه سليم بن قيس، وبه يظهر الدافع الذاتي الذي
أدى إلى تأليفه لهذا الكتاب.
لقد خذل أغلب الناس أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله بعد
وفاته، وعاملوهم بما لا يطيق اللسان ذكره، بينما كانوا هم
الذين نصبهم الله امناء وحفظة لدينه، ووصى بهم الرسول
الأعظم صلى الله عليه وآله وأكد عليهم القرآن الكريم.

وبخذلانهم تمكنوا من التفريق بين الثقلين الأكبر
والأصغر (بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام الذي هم مفسرو
أحكام القرآن ومفاهيمه)، وبذلك فقد أتيحب للانقلابيين
الفرصة لتفسير كتاب الله على أهوائهم وشهواتهم لضرب
الإسلام في الصميم، ومنع تدوين الحديث، بصورة عامة
كما قال عمر: (حسبنا كتاب الله) كان ذلك باتفاق مسبق
مع أبى بكر، لأن كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسيرته العملية كانا
مانعين ويحولان دون الوصول إلى أغراضهم السياسية
الدنيوية، وأطماعهم الشريرة.

سليم وجهاده العلمي في عهد عمر

ولم يبلغ سليم السابعة عشر من عمره حينما
دخل المدينة في عهد عمر، وشاهد وصادف الإرهاب
السياسي والإرعاب الفكري، فقد صمم على تدوين
أهم معالم السيرة النبوية، وشمر عن ساعد الجد
والاجتهاد بتثبيت الوقائع وتأريخ الإسلام الصحيح

الخالي من التبعية والتلاعب والتشويه، ونقل الأحداث على ما هي عليها، حفاظا على أسس الدين، وصيانة مسيرة المسلمين، للأجيال القادمة البعيدة عن الوقائع التأريخية.

فبدأ سليم بن قيس بالتعريف على الصحابة واحدا واحدا وسماع الأحاديث منهم سرا خوفا من بطش السلطة الحاكمة، ثم اتصل بأمير المؤمنين على عليه السلام وأصحابه، كسلمان الفارسي، وأبى ذر الغفاري، والمقداد ابن عمرو وغيرهم.

وجعل يسأل ويستفسر منهم، عن سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأحاديثه، ويسجلها، كما كان يسألهم عن الوقائع الرهيبة والأحداث التي طفحت على الساحة السياسية وعصفت بالأمة، ابتداء من يوم السقيفة ما خلفتها بصماتهم.

فقد روى سليم بن قيس في كتابه تفاصيل أحداث السقيفة عن ثلاثة أشخاص، سلمان الفارسي، وعبد الله بن عباس، والبراء بن عازب، وكلهم ممن شهد الوقائع

وعاشها، وقد أطبقت رواياتهم على حقيقة واحدة لا شك فيها ولا ريب، وهى مظلومية أهل البيت عليهم السلام، لا سيما أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء، وهضم حقوقهم، كما سمع وسجل الوقائع من حواري الإمام على عليه السلام كأبي ذر والمقداد وغيرهم.

ومما نقله سليم وأثبته في كتابه أن عمر بن الخطاب غرم جميع عماله وشاطرهم أموالهم، واستثنى من بينهم (قنفذ فعظم ذلك على قلوب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وفى نفوسهم، فسألوا مولاهم عن ذلك فأجابهم عليه السلام، بأن ذلك لم يكن إلا مكافأة له على جرأته وضربه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يوم هجومهم عليها دارها والتي بقيت آثارها بعد موتها عليها السلام.

سليم في عهد عثمان

وعندما تسنم عثمان سدة الحكم سنة ٢٣ ه كان سليم قد صار من أصحاب أمير المؤمنين على عليه السلام، ومن

الملازمين له ولأصحابه وشيعته، يتلقى منهم الأحاديث
والأحكام والروايات.
وقد شدد عثمان الخناق على نقل الحديث، وبيان
معالم الدين أكثر مما شدد أبو بكر وعمر، فإن كان عمر
يحبس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعهم الخرج من
المدينة وحرق كتبهم، فإن عثمان زاد عليه بأن عرضهم
للعذاب والنفي كما نفى أبا ذر الغفاري من المدينة إلى
الشام، ومرة ثانية نفاه إلى الربذة حتى مات فيها جوعا
وعطشا، وكما ضرب عمار بن ياسر حتى غشى عليه
وأصابه الفتق، وكما ضرب عبد الله بن مسعود وغيرهم من
أجلاء الصحابة.
سليم في عهد الإمام على عليه السلام
وبعد مضى ٢٥ سنة على التحاق النبي صلى الله عليه وآله بالرفيق
الأعلى ووقائع يوم السقيفة وما أصاب أهل البيت
وأتباعهم من عنت وعذاب، وما قام عثمان بن عفان من

تعدى حدود الله وشريعة السماء وما لاقته الأمة من العنت والعذاب والجور، خاصة من عماله الموزعين في أصقاع العالم الإسلامي، ونتيجة ذلك انفجر المسلمون في الكوفة ومصر وغيرهما من المراكز الإسلامية الهامة زاحفين من تلكم الأقطار ثائرين على حكام المدينة وحدثت أمور مؤسفة حتى أدت إلى قتل عثمان الأموي، وثار معهم جل الصحابة وأهل المدينة من مهاجرين وأنصار، ولم يستقر أمرهم حتى بايعوا الإمام عليا أمير المؤمنين عليه السلام مجبرا.

وقد أصبح سليم بن قيس في مقدمة أصحابه عليه السلام يدافع عن إمامه بالقلم واللسان وتسجيل الحوادث أولا بأول. ثم اندلعت الفتنة الكبرى بحرب الجمل، فشهد وقعة الجمل من أولها إلى آخرها، وأصبح من شرطة الخميس، وهى الكتيبة الأولى الفدائية من الجيش تشهد الحرب وتتهيأ للموت، وهم الطليعة والنخبة الذين بايعوا الإمام على عليه السلام على الموت دونه، وهم خمسة آلاف رجل، وقد شارطوه على الموت وشارط هم على الجنة.

وقد سجل سليم في كتابه وقائع الجمل مفصلة،

وكيفية التقاء العسكرين، وكلام الإمام أمير المؤمنين مع طلحة والزبير، وأسر عليه السلام لسليم بن قيس انحراف زياد بن أبيه عن خط الإمام وسيكون واليا لمعاوية على الكوفة ومطاردة شيعته في الكوفة.

وقد سجل في كتابه جميع خطب الإمام عليه السلام في الكوفة وغيرها.

سليم في واقعة صفين

كما أورد سليم في كتابه جميع المكاتبات مع معاوية بدقة وحضر المشاهد كلها حتى ليلة الهرير، وقضية مهزلة الحكمين والتقائه بالراهب النصراني عند ديره بالطريق وما وقع بينهما.

سليم في واقعة النهروان (الخوارج)

وفى سنة ٤٠ من الهجرة كانت وقعة النهروان،

فشارك فيها سليم وشاهد جميع أحداثها، وواكب الإمام
إلى يوم شهادته فكانت عليه من أعظم المصائب.
ويعد ذلك لازم الإمام الحسن، وحضر عقد شروط
الهدنة مع معاوية، ثم رحيله إلى مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله،
حتى يوم شهادته عليه السلام مسموما.
ثم إن معاوية شدد على شيعة علي وأهل البيت في
جميع أنحاء الرقعة التي تحت حكمه لا سيما على أهل
الكوفة أيام ولاية زياد بن أبيه وغيره.
وهكذا أصبح سليم مطاردا من قبل السلطة الأموية
وفى سنة ٧٥ من الهجرة، قدم الحجاج بن يوسف الثقفي
الكوفة واليا عليها من قبل عبد الملك بن مروان، وصار
يطارد ويلاحق شيعة أهل البيت تحت كل حجر ومدر
فيقتلهم شر قتلة، وكان فيمن شملته المطاردة سليم بن
قيس فهرب من الكوفة، وتنقل من بلد إلى حتى استقر
في أرض فارس بمدينة كبيرة تسمى " نوبندجان " بالقرب
من شيراز.
فنزل على " أبان بن عياش " واستأنس به، وقد بلغ

سليم بن قيس من العمر ما ينيف على الخمسة وسبعين عاما، وكان شيخا متعبدا، كريم النفس، شديد الاجتهاد، طويل الحزن، يحب الاستتار، ويبغض الشهرة.

وعندما أراد سليم أن يسلم كتابه إلى أبان بن عياش في آخر أيامه وبعدما اختبر علمه ودينه وهواه، ومدى تطلعه إلى الحقيقة وعلمه بوجود الانحرافات في الأمة الإسلامية، وبعدما أخبره بمحتوى الكتاب اشترط عليه ثلاثة شروط، وأخذ منه على ذلك عهودا، وضمنها له أبان، وهى أن لا يخبر به أحدا ما دام حيا، وأن لا يحدث به أحدا بعد وفاته إلا من يثق به كثقته بنفسه، وأن يدفعه إلى من يثق به من شيعة على عليه السلام ممن له دين وحسب فيما لو ألمت به ملمة.

إلى آخر مقدمة كتاب سليم بن قيس الهلالي (طبع نشر الهادي – قم المشرفة).

ومن مقدمة كتاب سليم بن قيس الكوفي، طبعة دار الأندلس – بيروت، نقتطف منه محل الحاجة:

عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: هذه وصية أمير

المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وهى نسخة كتاب سليم بن قيس الهلالي دفعها إلى أبان وقرأها عليه.
قال أبان: وقرائتها على الإمام على بن الحسين عليه السلام فقال: صدق سليم رحمة الله، ثم ذكر الوصية إلى آخرها، فلما فرغ من وصيته قال: حفظكم الله وحفظ فيكم نبيكم.
وحيث إن هذه الوصية البليغة النافعة لم يوجد في النسخ التي بأيدينا من كتاب سليم أوردنا منها محل الحاجة:
الباب الأول: باب وجوب معرفة الإمام وأنه لا يعذر الناس بترك الولاية نقلا عن إكمال الدين وإتمام النعمة للصدوق بن بابويه رحمة الله، حدثنا... عن أبان بن عياش عن سليم بن قيس الهلالي، أنه سمع من سلمان ومن أبى ذر ومن المقداد حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: " من مات وليس له إمام، مات ميتة جاهلية "، ثم عرضه على جابر وابن عياش فقالا: صدقوا وبروا، وقد شهدنا ذلك وسمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله أن سلمان قال: يا رسول الله، إنك قلت: من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية،

من هذا الإمام؟ قال صلى الله عليه وآله: من أوصيائي يا سلمان، فمن مات من أمتي وليس له إمام منهم يعرفه فهي ميتة جاهلية، فإن جهله وعاداه فهو مشرك، وإن جهله ولم يعاده ولم يواله عددا فهو جاهل وليس بمشرك.

الباب الثاني: عن احتجاج الطبرسي: قال سليم بن قيس: بينما أنا وحنش بن المعتمر بمكة، إذ قام أبو ذر وأخذ بحلقة الباب ثم أماط اللثام عن وجهه ونادى بأعلى صوته في الموسم: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن جهلني فأنا جندب بن جنادة، أنا أبو ذر الغفاري، أيها الناس إني سمعت نبيكم يقول:

مثل أهل بيتي في أمتي كمثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثل باب حطة في بنى إسرائيل، أيها الناس إني سمعت نبيكم يقول: إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وأهل بيتي... إلى آخر الحديث، من عدة طرق.

فلما قدم المدينة بعث إليه عثمان فقال له: ما حملك على ما قمت به في الموسم؟ قال: عهد عهده إلى

رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني به، فقال: من يشهد بذلك. فقام
على عليه السلام والمقداد فشهدا ثم انصرفوا يمشون ثلاثتهم،
فقال عثمان: إن هذا وصاحبيه يحسبون أنهم على شئ.
إلى آخر الأحاديث التي تربو على الأربعة عشر
بابا.
بهذا ننتهي من ترجمة حياة التابعي الجليل سليم بن
قيس الهلالي، ملخصا، ومن يرد المزيد من التفاصيل
فعليه مراجعة أمهات المصادر المعنية بالسير والتأريخ.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم جاهد وكتب، ويوم
مات، ويوم يبعث حيا.

المصادر

١ – أعيان الشيعة ٧: ٢٩٣
٢ – معجم رجال الحديث ٩: ٢٢٦، الحديث ٥٤٠١
٣ – رجال النجاشي، الحديث ٤
٤ – مقدمة كتاب السقيفة، سليم بن قيس الهلالي، طبعة الأعلمي – بيروت
٥ – مقدمة كتاب السقيفة، سليم بن قيس الهلالي، طبعة نشر الهادي – قم
٦ – الأعلام، للزركلي ١: ١١٩